

همسات قلبي



خولة ابيد

خواطر

همسات قلبي

خولة ابيد

معلومات الكتاب

عنوان العمل: همسات قلبي

نوع العمل: خواطر

اسم الكاتب: خولة اعييد

تصميم الغلاف: خولة اعييد بالتعاون مع المصممة

فاطمة السيد

تعبئة و تنسيق: خولة اعييد

تاريخ الإصدار: 2024

حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

الإهداء

إلى تلك الإنسانية التي شاركتني قبساً من قلبها، وقلدةً من كبدها، وجعلت أحشائها سكناً لي. وإلى ذلك الشخص الذي لولاه لما تعلمت أبجديات الحياة، والذي أعارني بعضاً من ملامحه. إلى أمي و أبي، ولا أحد سواكما، أهدي كلماتي المتواضعة كتذكير دائم بأنكما الأعلى والأعز على قلبي، وأنكما الركن الثابت الذي يمنحني القوة والإلهام في هذه الرحلة الجميلة التي نسميها الحياة.

ابنتكما الفقيرة إلى الله خولة

إهداء خاص

إلى روح شهيدنا الفلسطيني وأخينا الغالي مهند "أبو خالد"، الذي كان دائماً سباقاً في التعليق على منشوراتي، وكانت من بينها هذه الخواطر. كانت لديه عادة تشجيعية لا تفارقه، وكان ينصحي بالمزيد دائماً. كنت أتمنى أن تكون بيننا الآن، وأن تقرأ الحلة الجديدة من كلماتي، لكن كان للقدر رأي آخر. أسأل الله أن يرحمك و يغفر ذنوبك، وأن يجمعنا في الجنات الفردوس. إنه مولى ذلك والقادر عليه.

شكر خاص

أتقدم بأسمى عبارات الشكر للمصممة الراقية واللطيفة
فاطمة السيد على جهودها في تصحيح غلاف هذا
العمل، إضافةً إلى نصائحها التي جعلت هذا الغلاف
المتواضع أكثر تميزاً. وكذلك أشكر الأخت سلمى منيب،
التي لولاها لما تم إنعاش بذرة هذه الفكرة التي ظلت
مجمة لما يقارب العام وجعلها ترى النور.

جدول المحتويات

1 مقدمة

الفصل الأول

3 أرجوحة الحياة

5 كيف تراني؟

7 ماذا يعني لك اليوم؟

9 شكر موصول

10 ليس سيئاً

12 هذه أنا

14..... ليس الأمر كما ترى

16..... وسط أمواج الحياة

الفصل الثاني

18..... العشرينات

20..... مستقبل

22..... شوق و اشتياق

25..... كلمة لخصت كل شيء

26..... بالأمل نحيا أم نحيا في ألم؟

28..... أحزان

30..... صغيرة لكن، عميقة

34..... كنت فردا فصرت أهلا

35..... سر الأمان

36..... من أم على؟

الفصل الثالث

- 38 ابتسم ... فأنت أجمل هكذا
- 40 اسمعي مني يا صبية
- 42 لا تبكي يا حبة القلب
- 42 كوني كتلك الجورية هناك ...
- 47 قالوا عنك يا ذات الحجاب
- 49 كن في عون غيرك
- 51 جمالك فاق القمر
- 51 مبدأ

الفصل الرابع

- 55 ذكريات تحت المطر
- 57 جمود
- 59 نجمة في أعالي السماء
- 63 نبضات العشق
- 64 لا بأس

- 66..... بجانب النهر
- 68..... تذكرني هذا
- 70..... لمن شوقي و حنيني؟
- 72..... "كوني قوية كوني بخير"
- 75..... هدية
- 77..... بعد النهاية بداية
- 79..... روح منكسرة
- 81..... لا تحزني

الفصل الخامس

- 84..... بوح
- 86..... عندما أكبر
- 88..... الديار
- 90..... قلب منقطر
- 92..... أوقات

- 94 لامبالاة
- 95 تعارف
- 97 هل نتعارف؟
- 99 طيف
- 101 تعب
- 103 التقيت نفسي
- 105 فمن سواها يكون؟
- 107 اعتذار
- 109 متى يحين اللقاء؟
- 110 قوقعة
- 112 الخاتمة

مقدمة

عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، ما بين أيديكم عبارة عن خواطري أو كما أحب أن أطلق عليها "همسات قلبي". قد شاءت لها الأقدار أن تتلاقى في صفحات هذا الكتاب، لترى النور فيما بعد. وقد كتبت هذه الكلمات في مراحل مختلفة من حياتي، لذا قد تلاحظ تكرار بعض المواضيع، ولكن بأسلوب وصياغة متنوعين. وهذا يرجع إلى تفاوت الزمن بين الكتابات. هنا يظهر كيف تتغير أفكار الإنسان مع تقدم الزمن. أتمنى للقارئ الكريم قراءة ممتعة.

خولة اعبيد

الفصل الأول

تأملات في الحياة

أرجوحة الحياة

إذا تأملنا في هذه الحياة، سنجدها تتأرجح بين قطبين: موجب وسالب، بين بداية ونهاية، فرح وحزن، نجاح وفشل، لقاء وفراق. والغريب في الأمر هو أنك يمكن أن ترى الأحداث تحدث في الوقت نفسه. على سبيل المثال، في رواق الكلية، هناك شباكين، أحدهما تضع فيه أوراقك لتبدأ رحلتك، هذه البداية. والآخر يسحب منه أوراقك معلناً نهاية مشوارك، وهذه النهاية. أمام باب المستشفى، رجل يجري مهرولاً ليحصل على شهادة ميلاد ابنه، هذا فرح. وآخر يجر أنيال خيبته وقد استلم شهادة وفاة فلذة كبده، وهذا حزن. هناك أيضاً أم تبكي فرحاً لتفوق وحيدتها، هذا نجاح. وبجانبها أم أخرى تبكي حرقاً على رسوب مهجة روحها، هذا فشل. زوجان سعيدين وقد وقعا عقداً يلم شملهما في ود وسلام، هذا لقاء. وآخران قد وقعا ورقة الطلاق، وهذا فراق. وقس على ذلك. أمام كل

جانب إيجابي، هناك جانب سلبي، وهذا أمر طبيعي وبديهي، فهذه هي الحياة مرة لك ومرة عليك. توقع أن تعيش أوقات إيجابية وأخرى سلبية، ولكن يجب أن تجد التوازن بينهما. وختامًا، هل تساءلت يومًا كيف تسير السيارة؟ بمعنى آخر، ما هو المبدأ الذي يقوم على دوران المحرك؟ ليس الوقود بالطبع! بل هو تجاذب وتنافر بين قطبين سالب وموجب؛ لولاها لما تحركت السيارة، حتى لو عبأتها بأجود أنواع الوقود. تأمل هذا معي.

كيف تراني؟

"دائماً ما يتبادر إلى ذهننا هذا التساؤل، ألا وهو كيف يرانا الناس؟ هل يروننا كما نرى أنفسنا في المرآة، أم كما نراه على الكاميرا الخلفية للهاتف، أم كما نراها على صورة السيلفي؟ بعيداً عن الجواب العلمي والفيزيائي، الذي يتضمن الكثير من معاملات الانكسار وزوايا الانحراف، سأجيبك بطريقتي. الناس يا أحبتي، يرونكم كما ترون أنفسكم! فمثلاً، لو سألتني هل أبدو جميلة، قد قالت لي فلانة: 'لست كذلك' أنتِ يا عزيزتي لستِ واثقة من مدى جمالكِ، فكيف تريدين أن يرى الآخرون ذلك؟ تريدين مثلاً أن أقول لكِ: 'تبدين سيئة جداً'، لا تقلقي، لستُ فظة لقول هذا، ولن أقول لكِ أيضاً: 'أنتِ أجمل ما رأيت عيناى! أنا لستُ أجامل، بل سأخبركِ الحقيقة، والحقيقة التي لا تتغير، مادمتِ من مخلوقات الله تعالى، فأنتِ جميلة بطريقة أو بأخرى فقد قال عز وجل: 'القد

خلقنا الإنسان في أحسن تقويم! والحسن من مراتب
الجمال. دعيني أخبرك أمراً آخر، ما هي علامات
الجمال في نظرك؟ مثلاً، شعر أشقر، عيون زرقاء،
وغمازات. كل هذه نتيجة لنقص أو تمزق عضلي! نعم،
الشعر الأشقر الذي تحلمين به هو إلا نقص في صبغة
الميلانين، والأسود هو الأصل. وقس على ذلك، خلاصة
الكلام، أنت جميلة بطريقة أو بأخرى. فقط عليكِ
استشعار ذلك الجمال، وأن تثقي به، فحتماً سيراكِ الناس
كذلك. قبل الرحيل، يا من تقرأين كلماتي، انظري إلى
نفسك قليلاً وحاولي أنت رفعي خديك دون أن تلمسيهما.
نعم، هكذا، عالياً. ابقِ كذلك للحظات.

ماذا يعني لك اليوم؟

ما تاريخ اليوم؟ حقاً لا أحد يعلم، لكن الكل يعلم عن الرابع عشر من فبراير. لقد رأيت العديد من المنشورات حول الموضوع، منشورات مستنقزة إلى أبعد الحدود، يقولون أنه عيد الحب. إذن، يمكنني القول الآن: "أهلاً بكم في 364 يوماً من الكراهية" أم ماذا؟! هذا اليوم الذي يزعمون أنه "عيد الحب" هو في الواقع يسمى يوم القديس فلاننتين، يعني بطريقة أو بأخرى له أبعاد دينية في الثقافة المسيحية. هناك من يعبر في هذا اليوم عن حبه لأمه أو لزوجه، والأكثر من ذلك، أصبحوا يقولون في عيد الحب: "نحبك يا رسول الله"، والله قد رأيت منشوراً ذكر فيه هذا الكلام. بالله عليكم، ألم تجدوا يوماً غير هذا؟ أيام السنة طويلة لمن أراد أن يعبر عن الحب، أيام السنة طويلة لمن أراد اقتناء الهدايا. لا تنتظروا الرابع عشر من فبراير. وأيضاً، أيام السنة طويلة لمن

أراد شراء قالب حلوى. لما علينا انتظار يوم آخر يوم من أيام شهر ديسمبر عند منتصف الليل؟ لماذا ننتظر أيامًا لا تخصنا من قريب ولا من بعيد لكي نحتفل بها وهي لا تحمل سوى التجاوزات الأخلاقية والدينية؟ لحظة لدي سؤال. غالبًا ما نرى المحلات مكتظة في الحادي والثلاثين من ديسمبر لشراء قالب حلوى. هل رأيت يومًا مسيحيًا يتزاحم معك في سوق المواشي من أجل شراء أضحية العيد؟ أو هل رأيت مسيحيًا يحتفل بعيد الفطر؟ لماذا نتطفل على أعيادهم الباطلة، بينما هم لا يتطفلون علينا رغم أننا على الحق وهم على الباطل؟

شكر موصول

كعادتي كل ليلة قبل النوم، أتقلب وأدور في هذا العالم الأزرق الفسيح، حتى لفتت انتباهي جملة تقول: "من المؤلم أن يقول لك أحدهم: كن قويا وهو لا يعلم مرارة ما تمر به". هنا توقفت قليلاً، بل توقفت كثيراً، لأنني لا أتفق مع هذا الطرح. في نظري، لا أحد يطلب منك أن تكون قويا إلا إذا كان يعلم أنك قوي، وستتجاوز الأمر بإذن الله. فقط تحتاج إلى دفعة صغيرة، وهذه الدفعة هي كلمة بسيطة تسعد القلب، وترد الروح، وتجعلك تنهض من جديد لتكافح وتتألق من أجل إسعاد هذا الشخص. شكراً لكل من منحنا دفعة وشرارة صغيرة للمضي قدماً.

ليس سيئاً

أن تقضي حياتك وحيداً ليس أمراً سيئاً ولا صعباً إن اعتدت على الأمر. الصعب هو العودة إلى حياة الوحدة بعدما اعتدت على وجود أشخاص تستأنس بوجودهم في حياتك وبعدها يخنفون واحداً تلو الآخر. لكن لا بأس، هكذا الحياة، تأقلم واعتياد، وكل غائب سيعود يوماً. فصديقتي التي لم أرها منذ سبع سنوات، التقيتها صدفة في الحافلة في ليلة ممطرة. ومن كان يتوقع أننا سنلتقي يوماً، بل ظننا أن كل واحدة سافرت إلى مدينة أخرى وصديقة أخرى اجتمعنا صدفة بعدما وضعت ملخصاً في إحدى المجموعات. تعرفت على خطي بعد كل هذه السنوات، ما زالت تعرف خط يدي وتذكرني وكل المواقف التي جمعتنا. إنني أيضاً عرفتها من صوتها وهكذا العديد من الأمثلة التي أتذكرها تجعلني ألا أشعر بالحزن ولا اليأس. فالله سيجمعني مع أحبتي مهما طال

الزمن، ومهما قلت أن الأمر مستحيل. فأنا على ثقة بربي
الذي إن قال للأمر كن فيكون.

هذه أنا...

لم أكن يوماً أسعى إلى إبهار الآخرين بكلامي، بشيبي، أو بتصرفاتي، بل العكس كان صحيحاً. كنت دائماً أتواري في الظل، أبقى بعيدة، هادئة، أراقب الأجواء فحسب. حتى أنه أحياناً لا يلاحظ غيابي، ولا حتى عودتي. هكذا كنت. لا يهمني ما يقوله الناس في حضرتي، بقدر ما يهمني الأثر الذي تركته في داخلهم. نعم، هذا ما سعيت إليه دوماً، وسأظل أسعى إليه دائماً. أن أكون تلك الفتاة ذات الأثر الطيب في حياة الآخرين. أن يكون مروري خفيفاً، أن لا يترك أي خدش فيك، مهما كان بسيطاً. فأنا، والله، لا يهدأ بالي إن شككت يوماً أنني تسببت بجرح مشاعر أحدهم. فهناك من يجرح بكلمة، وهناك من يجرح بصمت، وأنا أقوم بكلاهما. أتحدث قليلاً، وأصمت كثيراً. فبالله أخبرني، إن جرحتك يوماً، سواء بصمتي أو بكلامي. فكما أقول دوماً: عندما يُذكر اسمي في مجلس،

ويقولون "لا نعرف من تكون"، أو "لم نعد نتذكرها"،
خير وأحب إلي من أن يقولوا عني: "الحمد لله الذي
أبعدها عنا وأخرجها من حياتنا".

ليس الأمر كما ترى

قرأت يوماً العبارة التالية: "وَمُعْجَبُ الْوَرْدِ يَقْطِفُهُ وَيَرْمِيهِ، أَمَّا الْمُحِبُّ فَذَاكَ الْحَافِظُ السَّاقِي." لطالما كنت من أنصار هذا التصور حتى تعمقت أكثر في دراسة بعض الأمور، وخلصت إلى أن المحب يقطف ليحفظ ويسقي، بينما المعجب يقطف ليرمي! أليس هذا أمراً غريباً؟ أتاحت لي الفرصة لأقدم لك مثلاً بشجرة البرتقال، فهي شجرة حساسة تحتاج إلى الكثير من العناية. إذا اقتصرنا على الشخص المعجب الذي يقطف فقط، فلن يحقق شرط الحفاظ عليها. يجب التدخل الفعال، وهو قطع بعض الأغصان وتطعيمها على جذع شجر اللارنج الذي يقاوم الأمراض والطفيليات ويتحمل الظروف المناخية الصعبة. وبهذا، يصبح المحب قاطعاً، وفي الاتجاه المعاكس، بعض الورود قد تختنق جذورها وتموت بسبب كثرة الحب الذي يُظهره المعجب. وختاماً،

يمكن القول إن الحب والإعجاب لا يتسمان بصورة واحدة، فقد يتغيران بتغير الشخص والظروف. ما قد يمثل إعجابًا بالنسبة لشخص قد يكون حبًا والعكس صحيح.

وسط أمواج الحياة

تخيل معي مركبًا وسط المحيط، ساكنًا، هل يا ترى سوف يصل إلى وجهته؟ بالطبع لا يمكن أن يقع ذلك، ستتقاذفه الأمواج العنيفة في بعض الأحيان، وتحمله الأمواج الهادئة في أحيان أخرى. تتغير اتجاهات الرياح، تمامًا كما يتغير اتجاه المركب، أحيانًا تجري بالاتجاه الذي نحبه بسلاسة، وفي أحيان أخرى تجري بالاتجاه الذي لا نتمناه. ومع كل هذه التحديات، سيصل المركب إلى وجهته المقصودة في النهاية. هكذا هي الحياة، أحيانًا تسير بسلاسة ونعيش في هدوء، وأحيانًا تكون قاسية وتجبرنا على البكاء. لذا، لا تحزن ولا تيأس، عش حياتك بمرارتها وحلاوتها، وتقبل التحديات كجزء لا يتجزأ من رحلتك.

الفصل الثاني

كلمة ومعنى

العشرينات

سن العشرين، كما يُسمّى بربيع العمر أو أحيانًا عمر الزهور، هي مرحلة حيث تبني أحلامك وتحدد أهدافا لتحقيقها في المستقبل. كشابة قد قطعت مسافة لا بأس بها في هذه المرحلة، أود أن أقول إن فترة العشرينيات هي فترة شتات وضياع، حيث تجد نفسك تحت ضغوطات كبيرة. لست كبيرًا كفاية لتواجه هذه الحياة ولا حتى صغيرًا لتطلب مساعدة الكبار. في هذه المرحلة، تظل محاصرًا بين قلب يتمنى ويشتهي، وعقل يخطط وينظم، ثم تصدم بواقع مرير يرفض كل ما تمنيته في هذه العقدة الزمنية من عمرك. ستظل حائرًا بين كل شيء ولا شيء، مشتتًا بين ما يهواه الهوى وما تفرضه الأنا العقلانية. ستظل تقاوم وتقاوم حتى تجد زهرة عمرك تتلاشى ويأتيك الخريف قبل الأوان. ولكن... إن أردت، يمكنك أن تعيش دون هذا. كن قريبًا من الله واستعد جيدًا

في سن المراهقة. في هذه المرحلة، احث بجد لتجد
الأرض المثالية لتزهر أيامك وتدوم ربيعك طويلاً. هكذا
الأمر ليس صعباً ولا مستحيلاً، فقط احترم الأولويات
وانظر بتفاؤل نحو المستقبل، وستمر هذه الفترة بسلاسة
وأمان.

مستقبل

المستقبل هو ذلك الوحش الكاسر الذي أخاف منه، أنا و أنت و كافة أبناء الطبقة الكادحة. و المخيف أكثر هل حقاً سيكون لنا مكان في هذا المستقبل؟ هل هذا المستقبل الذي نخاف منه، سنكون فيه من الأساس؟ عيينا الوحيد أننا ولدنا من دون ملعقة ذهبية في أفواهنا. فما نفع سيرتك الذاتية وأنت لا تنتمي إلى عائلة البناني أو برادة؟ ما نفع تجاربك و خبراتك و أنت من دون سلطة أو نفوذ؟ ما نفع مؤهلاتك المعرفية و العلمية من دون مؤهلاتك الجسدية؟ و أنت تعرفين جيداً عما أتحدث. للأسف، هذا هو الواقع. قلة من تجده قد ضمن مستقبله بشهاداته، و أغلب من حقق ذاته كان خلفه شخص ذو نفوذ. تعرفين لماذا يخيفني المستقبل و أبحث جاهدة عن فرصة عمل مستقرة و ليس تدريبات مدتها أشهر، والتي ستنتهي مع نهاية هذا الشهر؟ ليس لأنني أريد تحقيق ذاتي، و لا لكوني أنثى

متحررة، و إنما من أجل والداي. تخيلي أن تري خطوط
الزمن و قد شقت على وجههما، و ثقل الوقت قد أحنى
ظهرهما، و تلك الجملة القاسية التي تطعن قلبي كل يوم
"حنا يا بنيتي مدايمينش ليك" هذه الجملة كفيلة بجعلي
أعيش الليالي البيضاء.

شوق و اشتياق

دائماً تلك الكلمات البسيطة والصغيرة تحمل مشاعر ومعاني ثقيلة كتقل الجبال الشامخة. لاحظوا معي هذه الكلمات: الحزن - الأمل - الألم - الحب... وغيرها الكثير. واليوم اخترت واحدة منها، أو بالأحرى همست بها الحواريات إلى قلبي، فاستفاض نبضه ليكتب ما به ويحكي لكم عن كلمة من ثلاثة أحرف رصفت بخجل واحداً تلو الآخر: شين - واو - قاف. إنها الشوق والاشتياق، يا أحبتي. أكون جالسة في أمان الله حتى تباغتني زميلتي بسؤال: "هل اشتقت إلي؟" راسمة على وجهها ملامح حزينة، تبدو مضحكة أكثر منها حزينة. المهم، عادةً لا أجيبها، أنظر إليها وابتسم، فأنا لا أريد أن أكسر خاطرها، وأقول لها لا، ولا أريد أن أكذب عليها وأقول لها نعم. لكن لو أنها سألت نفس السؤال الآن، كنت سأجيبها بكل ثقة: "نعم، لقد اشتقت إليك إلى ظرافتك

وإلى مشاغباتك اللطيفة. " لكن ما الغاية من هذه القصة؟ سأشرح الأمر ببساطة. متى يشعر الإنسان بالشوق لشخص معين؟ كيف تشتاق لشخص رأيته بالأمس فقط ولا تشتاق لشخص رأيته قبل أشهر؟ لماذا لم أشعر بالاشتياق لزميلتي إلا بعدما افترقنا، بينما أشعر بالشوق لأشخاص آخرين كل لحظة؟ الجواب بسيط جداً، إنه مكانته في القلب. فكلما كانت مكانة الشخص في قلبك عميقة جداً، زاد شوقك إليه أكثر. لدرجة أنك تشتاق إليه بمجرد أن يقول لك "دقائق وأعود"، تمر عليك الدقائق دهنأ قبل أن يعود. ومن جميل ما قيل عن الشوق، كلمة "توحشتك" والتي تعني أنك شعرت بالوحشة من دونك. فأي مرتبة من الشوق بلغتها عند أحدهم عندما يقول لك "توحشتك بزاف." زيادة على هذا، يُقال أيضاً أنه عندما ترى أحدهم في المنام، فهذا دليل على أنه قد اشتاق إليك وجاء إلى حلمك كي يؤنسك. وهذا ما حدث معي في الأيام الماضية، لكنني كنت غبية واستيقظت بسرعة.

وآخر خرافتين سأذكرهما في هذا الباب، يُقال أيضاً أن يدك الباردتان دليل على أن أحدهم مشتاق إليك، وأن شعورك بالكآبة دليل على أن أحدهم أشتاق إليك حد الموت، بالرغم أنها مجرد خرافات، لكنها ترسم البسمة على وجهك، مجرد التفكير بأن أحدهم يشتاق إليك. وللتوضيح، ليس كل من يتحدث عن الشوق يتحدث عن الحبيب، ربما قد يكون الأمر صحيحاً، فكل قريب للقلب حبيب نشتاق إليه ويشتاق إلينا. وهنا أتوقف، رغم أن لازال للحديث بقية.

كلمة لخصت كل شيء...

"أودي"... كلمة يرددها المغاربة كثيراً، فنقول "أودي، خليها على الله"، وأحياناً نقول "أوديي"، كلمة لا يتجاوز طولها أربع أحرف. تختصر كل شيء في لحظة واحدة، تحمل بين طياتها ألماً عظيماً لا يستطيع لغات العالم شرحه. إنها أقرب إلى زفرة، منها إلى كلمة صوت ممتد للألم، صدى طويل لصفقة باب في أعماق أغوار الذات. كأنها نهاية موال حزين. كلما زاد الهم والألم، زاد مدحروفها. هذه الكلمة تُقال في لحظة تمر بها لديك الكثير لتقوله، ولكن حتى لو قلت كل ما لديك، ستشعر أنك لم تقل كل ما يوجد في قلبك. حتى لو أحسست أنك قلت كل شيء، لا أحد سيفهمك. تبقى تلك الكلمة التي نردها أفضل وسيلة لتفادي الإرهاق والبوح.

بالأمل نحيا أم نحيا في ألم؟

"ألم"... لدي فكرة، لما لا يتبادل اللام والميم أماكنهما ونرى ماذا سيحدث؟ "أمل"... هكذا أفضل وبكثير، ألم وأمل كأنهما توأم، لكنهما توأم غير حقيقي كما يسمى علمياً. فعندما يحل بك ألم، يكبر عندك أمل بالخلاص، وعندما يكبر هذا الأمل، يختفي الألم. علاقة أطراف متبادلة، لا وجود لأحدهما دون الآخر. لذا علينا أن نتحلى بالأمل لنواجه الآمن التي تمكنت منا، وعلينا ألا نفقد هذا الأمل، ولو كان بصيص نور، علينا التشبث به. ألسنا جميعاً ننتمي إلى ذلك الجيل الذي نشأ على أنه ما دامت هناك حياة، فهناك أمل؟ ألسنا ذلك الجيل الذي لطالما ردد هذه الكلمات بكل فرح؟ نملك الخيار، وخيارنا هو الأمل، وتهدينا الحياة أنواراً في آخر النفق تدعونا كي ننسى ألما عشناه نستسلم، لكن لا مادماً أحياءً نرزق، مدام الأمل طريقاً فسنحياه". كنا صغاراً حينها، ولكن

الآن صرنا نفهم مغزاها". لذلك، فلنتشبث بالأمل ما دمنا
أحياء.

أحزان

الحزن، كلمة صغيرة جداً تتكون من ثلاثة أحرف بسيطة، لكنها تسقط على القلب ثقيلة أثقل من الجبال. الحزن، يا أحبتي، يغير كثيراً في الإنسان، يجعله مختلفاً جداً، حتى لو مرت السنين، تبقى آثار الحزن بادية على ملامحه. أستم تصدقونني؟ حسناً، أبسط مثلاً هو أنا. الأشخاص الذين عرفوني بعد عام 2018 يرونني عادية، لأنهم اعتادوا على ملامحي بهذا الشكل. لكن الناس الذين عرفوني قبل هذه السنة يرونني مختلفة، وقد تغيرت كثيراً. احسبوا معي، كم عاماً مرت خمس سنوات! إن لم أخطأ في التقدير، وما زالت ملامح الحزن محفورة على وجهي، فبالله عليكم، لا تكثروا من الأحزان. أعلم أن الأمر سهل القول، لكنه صعب التطبيق. لكن الأمر لصالحكم. بماذا نفعلني الحزن؟ بقيت في غرفتي أسابيع، لا أكلم أحداً، أبكي عندما استيقظ وأبكي قبل النوم،

امتنعت عن الأكل، دخلت في نوبة اكتئاب. كل هذا لسبب تافه، لم يتم قبولي في كلية الطب. بعدما رضيت بالقدر وتقبلت مصيري، خرجت من كآبتي. نظرت إلى المرأة لأول مرة، ضحكت وقلت: "من هذه الفتاة؟" نظرت طويلاً، آه، إنها أنا. شعر مبعثر، متقصف، عيون محمرة، منتفخة، وجه مصفر، شفاه متشققة، أظافر شبه منكسرة. بقية المدة لكي أسترجع حالتي الأصلية. المهم، لم أعد استغرق في الحزن طويلاً. يوم واحد صار يكفيني. أبكي طوال الليل واستيقظ، والبسمة تعلو وجهي، وكأن شيئاً لم يحدث. لكن في قلبي الكثير ليقال، وقد أبكي لمجرد أن الحلوى المفضلة لدي قد انتهت.

صغيرة لكن، عميقة

نواصل مع كلماتي الصغيرة اللطيفة التي تحمل بين ثناياها معاني شامخة رغم بساطتها اللغوية. ونستقبل اليوم أصغر كلمة معنا لكنها أكثرها قوة في المعنى وتأثيرًا في الروح والقلب، ولكن هذه المرة لست أنا من سيحدثكم عنها، بل هي شخصياً من ستعرف عن نفسها، وبعدها سأخذ الكلمة بعد إزنها. "أنا يا أعزائي، كما سمعتم، أصغر كلمة تتكون من حرفين فقط!!! كما تسمعون بحرفين صغيرين، استطعت الاستيلاء على كثير من القلوب والأرواح. استطعت أن أحيي بعض النفوس التي لم تكن ترى شيئاً سوى الظلام. لكنني، وبوجودي، منحت الحياة لهؤلاء. لكنهم لم يتركوني وشأني. قاموا بتشويه سمعتي وألصقوا بي أفعالهم النجسة. قاموا بالحرام تحت اسمي، وحاشا لله أن أكون كذلك أو أبتغي ذلك. حتى صار الجميع يخاف ذكرني. ما

إن ينطق المرء باسمي حتى يقال له "صه"... ألا تحتشم يا هذا؟ كأنه قال خطيئة من الخطايا الكبرى. أنا يا عالم، طاهر عفيف، شعور بسيط يؤلف بين القلوب. أنا يا عالم، لست سوى ضحية لأعمالهم الشنيعة. فلا تكرهوني واكرهوا ما قاموا به باسمي. فهل عرفتم من أنا؟! أنا الحب يا سادة." نعم، حديثنا اليوم عن الحب. سأحاول الاختصار لأن الموضوع مما يقال عنه حدث ولا حرج. ولكن سأذكر البعض والبعض الآخر مرة أخرى بإذن الله. كما قيل، الحب شعور لطيف، طاهر، وعفيف، شوهته الأفلام والمسلسلات، أعطته طابعاً صار الأغلب يعتبره خطيئة. وأنا كنت أشمئز من هذه التصرفات، أشمئز من ما ينسب للحب، كما أشمئز من التصور الذي يعطى له. حتى صرنا نخجل من قول هذه الكلمة أمام العامة. أولاً، الحب شعور فطري، فطره الله في قلوبنا من أول الخلق لما مال قلب آدم لحواء. الحب يوجد في كل مكان، فقلب الرجل يميل لقلب المرأة، وقلب المرأة

يميل لقلب الرجل تلقائياً. لماذا؟ لأن هذه فطرة!!!
 والإسلام لم يأت يوماً لمحاربة الفطرة، بل قد أتى لكي
 يهذبها ويقودها نحو الطريق الصحيح. ولأننا مسلمون
 نخاف الله، لا بد لنا أن نستغف. أنا لا أقول هذا الكلام
 لكي أظهر أنني داعية أو شيء من هذا القبيل، فأنا لا
 أبرئ نفسي. إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي.
 فالإنسان يخطئ وأحياناً ينحرف مع مشاعره، لكن الحكيم
 من يعقل قبل فوات الأوان. الإسلام كما قلت لم يحارب
 الحب أبداً، وإن لم تصدق، اقرأ قصة النبي صلى الله
 عليه وسلم مع زوجته خديجة، اقرأ قصته مع حبيبة قلبه
 عائشة، اقرأ عن زينب وزوجها أبو العاص، اقرأ عن
 فاطمة وعلي. اقرأ روايات الدكتورة حنان لاشين، حيث
 الحب كيف له أن يكون ودعك من المسلسلات المشوهة
 له. والحب درجات، وأعلى درجاته أن تجد من يخاف
 عليك أكثر من نفسه، يخاف عليك حتى من خيالك،
 يخاف عليك من غضب الله، وفي كل حين يذكر اسمك

في دعائه قبل اسمه. يفهم صمتك قبل كلامك. فمن يحبك
بصدق لا يحتاج أن يقولها لك كل مرة، بل أفعاله
وتصرفاته معك تثبت لك ذلك. يستمع إليك وأنت تحكي
تفاصيل يومك، لا يقاطع كلامك، ينصت إليك بكل
جوارحه.

كنت فردا فصرت أهلا ...

من لطائف اللغة الأمازيغية، وخاصة اللهجة التي يتحدث بها أهل القرية التي أنتمي إليها، عندما يريدون التحدث عن زوجة أحدهم أو زوج إحداهن، بدل قول "تمغارت ن حسن"، والتي تعني "زوجة حسن"، وقولهم "ارجاز ن خديجة" بمعنى "زوج خديجة"، يستعملون الكلمة التالية "لاهل ن حسن" و "لاهل ن خديجة". وكلمة "لاهل" هي كلمة محرفة عن اللفظ العربي الفصيح "أهل". فهم يعتبرون الزوجة أهل زوجها، والزوج أيضاً بمثابة أهل لزوجته. فأبي حب هذا، وأي لغة هذه تحصر الأهل في الزوج والزوجة؟

سر الأمان

أمان... أي شخص يسمع هذه الكلمة يعتقد أنني أتحدث عن الأمان، ذلك الشعور الذي يبعث الطمأنينة في القلوب والروح. ولكن، إن قلت لك لا أقصد الكلمة العربية الفصيحة، بل أقصد كلمة أمازيغية وتعني الماء. بعد التفكير والمقارنة والتحليل، استطاع فكري المتواضع جداً التوصل إلى ما يلي: أن هناك علاقة وثيقة بين "أمان" - التي تعني الماء - وبين الأمان. فحيثما وجد الماء، كان آمناً واتسم بالأمان. لقد لاحظت، عندما أعلن أن البلاد تعاني من موجة جفاف ومنسوب المياه في السدود قد تراجع، لاحظت الخوف والرعب وغياب الأمان في الساكنة. ولكن، عندما تساقطت بعض الأمطار هنا وهناك، وارتفع معدل ملاء السدود مجدداً، عمت الطمأنينة والأمان من جديد.

من أم علي؟

الغيرة، هذه الكلمة لا يجب أن تُستخدم بهذه الطريقة. عندما يقول أحدهم "أنا أغار"، قد يقصد بهذا أمورًا مختلفة. قد يكون يشير إلى أمور إيجابية، مثل الاهتمام بشخص ما. ومع ذلك، عندما يقول "أنا أغار من فلان"، يكون هذا أمرًا سلبيًا للغاية. الغيرة من الآخرين لا تؤدي إلى شيء إيجابي، بل تسبب الحسد والكراهية والبغضاء بين الناس. وفيما يتعلق بالأمر الثاني، عندما يقول لك شخص ما "أنا أغار على فلان"، فقد يكون هذا أمرًا جيدًا إذا كان ضمن حدود المعقول. فالرجل يمكن أن يغار على زوجته، والأب يمكن أن يغار على ابنته، والأخ يمكن أن يغار على أخته، والزوجة يمكن أن تغار على زوجها. هذا يعكس ليس فقط ثقة الشخص بالآخرين بل وأيضًا حبه واهتمامه العميق بهم.

الفصل الثالث

نصائح من القلب

ابتسم ... فأنت أجمل هكذا

مرحبًا، كيف حالك؟ أتمنى أنك قضيت يومًا سعيدًا، أليس كذلك؟ حتى وإن لم يكن كذلك، ما زال هناك وقت لكي نجعله معًا أسعد يوم، صدقني. هلا تفضلت وأخبرتني ماذا يقلقك؟ ما الذي جعل يومك حزينًا؟ هل أخبرت أنك حُرمت من الجنة؟ أو أنك رأيت مقعدك من النار؟ أو أن باب التوبة قد أُغلق؟ ليس هذا هو السبب إذًا، ماذا؟ حدثني، كلي آذان صاغية حقًا؟! سبب تعاستك مقابلة عمل فاشلة؟ امتحان صعب؟ صديق تخلى عنك...؟ بالله عليك، ألهذا حرمت نفسك من يوم سعيد؟ لا بأس، لا عليك، سيعوضك الله خيرًا مما فقدت، قد تكون هناك حكمة خلف ذلك. هل تعلم أنه لو عرضت علينا الأقدار لاخترنا قدر الله؟ تعلم هذا سابقًا إذًا، لما الحزن؟! انظر إليك، امسح دموعك وحاول أن ترفع خديك دون أن تلمسهما. أرايت كيف أصبحت جميلًا؟ عدني أن تبقى

هكذا ولا تدع أمور هذه الدنيا الفانية تعكر صفو مزاجك.
ابتسم، لأنك تستحق ذلك. ابتسم، لأن هذا الوجه ما خلق
إلا ليبتسم. ابتسم، لأنه والله لا يليق الحزن بمحياك.
ابتسم، تزداد جمالا.

اسمعي مني يا صبية

بينما كنت أتجول في رحاب هذا العالم الرقمي الفسيح لكي أرى ما فاتني في هذه الأيام التي غبت فيها، استوقفتني منشور لإحدى الفتيات في مجموعة ما، تقول: "ممكن نصيحة لفتاة في الخامسة عشر من عمرها." هنا استيقظت تلك العجوز التي تستأجر غرفة صغيرة في إحدى تلافيف عقلي. تلك العجوز التي عاصرت أزمنة وعاشت في أماكن لا حصر لها، عجوز شارفت على إنهاء قرن من الزمان في رحلتها. كان لزامًا عليها أن تنطق بشيء. ففتحت عينيها وتمتمت قائلة: "أعيريني سمعك ووجدانك يا بنية، إنني سأعلمك كلمات تنفَعك في زمانك وتجعلك مرتفعة، مترفعة عن رعاك القوم. فاسمعي وعي وافهميني. دينك ووالديك لا تفرطي فيهم ما دمت حية ترزقين، فهم سبيل وطوق نجاتك في هذه الفانية. أخلاقك، مبادئك، خط أحمر، لا تدعي أحدا يثنيك

عنها. اثبتني على درب الحق ولا تستوحشيه، ولو بدا لك
 قلة سالكيه. ولا تلتفتي لدرب الباطل رغم كثرة المارين.
 قلبك يا فتاتي اربطيه ولا تتركي له عجلة القيادة حتى لا
 يشمت عقلك به، قائلا: 'أرأيت؟' هذه وصيتي. اختزلتها
 في بضع كلمات، رغم قلتها، إلا أنها تحمل الكثير بين
 طياتها، عبق من الحكمة والأدب والحشمة. يا بنية، لا
 تكوني نسخة عنهم، بل كوني قدوة ومثلا يحتذى به. لا
 تكوني سهلة المنال، بل كوني كالدرة المصونة داخل
 محارتها. وكوني زهرة لا يفوح عبيرها إلا بحلول
 الربيع."

لا تبكي يا حبة القلب

- لماذا تبكين مجددا؟ ألسنتِ أنتِ التي اعتاد الناس رؤيتها وهي باسمة؟

- أشعر برغبة في ذلك، لا بد لي من البكاء

- وما السبب؟ ألم نتفق على عدم البكاء مرة أخرى؟! أ تبكين من أجل أمر لم تحققه؟ هل بتوقعك أن البكاء سيحل الأمر؟! أ تبكين من أجل شخص لم يعرف قيمتك ورحل عنك؟ أظنن أن البكاء سيمنحك السعادة؟! أم تبكين...

- كفى!!! من فضلك، لا مزيد من العتاب. أعلم أن البكاء لن يعيد لي أي شيء أو حتى يحقق ما فاتني، ولكن عندما أبكي، أشعر بالراحة، كأن حملا ثقيلًا أزيل من صدري. البكاء هو المتنفس الوحيد لي. هل فهمتِ الآن لماذا أبكي؟؟؟

- لا، لم أفهم، ولا أريد أن أفهم.

- إذا اتركيني وشأني، أكمل بكائي وحدي.
 - لا، لن أتركك. هل تعرفين قصة سيدنا يعقوب عليه السلام؟

- نعم، أعرفها، ولماذا؟

- ألم تعلمين أن عينيه ابيضتا من الحزن؟ ألم تعلمين أنه يبكي طول السنين التي فقد فيها ابنه، لكي يخفف عن نفسه؟ ولكن في النهاية، أبيضت عينيه لكن يوسف عليه السلام لم يعد إلا عندما رضي والده عن ذلك وسلم أمره لله، وتفاءل خيراً وتوقف عن البكاء والنحيب "فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين".

- أعلم هذا لكن شعور الاختناق هذا يؤلمني.

- تخلصي منه، استغفري، ارسمي، اكتبني، اقرئي، افعلي أي شيء، فقط أطلقني ما بداخلك على شكل طاقة إبداعية. المهم، لا تدعيه يلتهمك من الداخل، لا تتحملين فوق طاقتك، فأنت لا تستحقين ذلك. ابتسمي وحلقي بعيداً

وامضي قدماً، ولا تغرقني نفسك في بحر من الدموع، لا
مفر منه.

- لقد أثلجتِ صدري بكلماتك، ولكن من أنتِ؟ لم أتعرف
عليك بعد ولم تتعرفي علي؟! أنا أدعى...

- لا تهمني الأسماء ولا التعريفات، لا يهمني من تكونين،
بقدر ما يهمني ماذا تصنعين، أين وصلتِ، ماذا حققتِ
طوال سنين عمركِ، هذا ما يميزك عن الآخرين. ولكن
إن كنتِ تهتمين حقاً لمن أكون، أنا مجرد ناصحة تريد
لكِ ولأمثالكِ الخير الكثير. لا تبكي مجدداً، انسي الماضي
وعيشي الحاضر لأجل مستقبل واعد.

كوني كتلك الجورية هناك ...

من الأمور التي لفتت انتباهي هذه الأيام في طريقي إلى الجامعة، طريقة توزيع أزهار الجوري في إحدى الحدائق العامة، والتي بدورها ألهمتني لكتابة هذه الكلمات. نبدأ أولاً بتلك الجورية البيضاء التي انتشرت بشكل كبير في الحديقة. تجدها بين أكاليل الجبل تحت لارنج وبين صفوف الزيتون وبجانب النخيل. ببساطة، غزت وانتشرت في كل البقاع بلونها الأبيض النقي الصافي، كبياض قلب طاهر. هنا تعلمت أن بياض القلب ونقاءه من شأنه أن يمكنك من دخول كل القلوب وغزوها دون استئذان. فكوني مثلها في نقاءك. بعد ذلك تأتي الجورية الحمراء التي اتخذت مساحة صغيرة بحياء. ذكرني ذلك بتورد وجنتي وجنتيك. عندنا نسمع مدحاً وطيب كلام، وبين البياض والحمرة انبثق الوردية كأحلامنا الوردية التي نسأل الله أن يحققها ويقر أعيننا

بها. ونسجد سجدة شكر لله على استجابة دعائنا. يليه
البرتقالي، كله حيوية ونشاط ببهائه وجماله خطف
الأنظار وأسر العقول وسرق القلوب رويداً. يظهر لوناً لا
أعرف ما يكون، ليس بالأحمر ولا الوردى ولا حتى
البرتقالي. لكنه بين هذه الألوان، وكأن نحلة خفيفة رشيقة
أخذت حبوب لقاح من الأحمر والبرتقالي، وحطت على
الوردى، فنتج عنها هذا الجمال الأسطوري. فيا حبيبة
القلب، كوني مثلها مميزة، تحملين من نقاء القلب ومن
الأحلام اللطيفة والخلق الحسن وهو الحياء، ما يزين
طنتك ويجعلك مميزة. وفي نهاية الرحلة، جاءت الجورية
الصفراء. يقال إن الأصفر رمز الفراق، فما أجمله من
فراق! فراق المعاصي والسيئات، فراق الحزن
والاكتئاب، وفراق كل ما يعكر صفو جوك. يا أعلى
وأعلى جورية.

قالوا عنك يا ذات الحجاب

قالوا كلامًا لا يسر عن الحجاب...

فقالوا: "خيام علقت على الرقاب."

أما يعلمون، يا أختاه، أن الخيام لا تسدل إلا على الغالي

والنفيس...

فأنتِ الدرّة المصونة، زادت بهاء بالحجاب...

قالوا أيضًا: "سواد حالك فوق ثياب."

وأنا أقول لك: ما كان للقمر الظهور لولا سواد الليل

الحالك...

فأنتِ ذات طلة القمر بين الكواكب...

قالوا ليفتنوك: "ما حاجتك بتلك الأسماك؟ فالإيمان يقبع

في القلب."

وزادوك من الشعر بيتًا، محجبات ظاهرًا وأعمالهن ففن

البغايا...

دعك منهم واسمعي، يا جارة...

وكوني كاللؤلؤة داخل المحارة...
والياقوتة داخل المغارة...
واثبتي، ولا يغرنك قولهم...

كن في عون غيرك

"متنبان ليهوم غير فاش تاي بيغيو حاجتهم"، هذه الجملة عادة ما تُقال عندما يسأل عنك أحدهم بعد طول غياب، وتعلم جيدًا أنه يريد أمرًا معينًا منك، وبعد ذلك يغيب مرة أخرى. كإنسان، قد يزعجك هذا، وتفكر في نفسك أين كان كل هذه المدة؟ وماذا يريد مني؟ ولماذا لم يطلب ما يريده من الذين كانوا معه طوال هذا الوقت؟ وتتساءل عن العديد من الأسئلة. لكن هل جربت أن تفكر في الأمر من وجهة نظر مختلفة؟ عندما يطلب مني أحدهم طلبًا، أكون سعيدة للغاية لعدة أسباب:

أولاً، أن الله إذا أحب عبدًا يستعمله وفي رواية أخرى عسّله. هذا الشخص الذي أرسل في طلبك دعا الله أن يساعدك، فأرشدك إليك، لماذا أنت بالضبط ولا أحد سواك؟ ثانيًا، لأنه يثق في قدراتك، يعرف مهاراتك وجودة عملك، والأهم من ذلك أنه على يقين لو جالت الدنيا

شرقها وغربها، لن يجد الإجابة الشافية والكافية إلا
عندك. بعد كل هذا، قد تستمر في الشعور بالانزعاج
عندما يحتاجك أحدهم، حتى لو غاب ألف سنة، ستستقبله
وتساعده كأنك التقيت به بالأمس.

جمالك فاق القمر

من نافذتكِ تنتظرين وتنتظرين قدومها قبل الجميع، ولأنها مخلصه لا تخلف ميعادها، تتسلل باستحياء بين تلك الجبال، فترسل أشعتها إلى كل العباد. فتقولين في نفسك: "سبحان الله، يا لهذا الشروق المهيّب". وبعد أن ينام الجميع، لا تزالين مستيقظة، تبحرين بعينيك الجميلتين بين تلك النجوم المضيئة باحثة عن البدر المنير حتى تجديه لتقولين: "ما شاء الله على هذا الجمال". فهل هناك ما هو أجمل من شروق الشمس وبهاء القمر؟؟؟ دعيني أهمس لك بشيء، فأعيريني سمعك، أنا أعرف ما هو أجمل، ساطع كالبدر، وضاء كالشمس. صدقيني أن جماله لا يوصف. ألا تصدقين أن هناك ما هو أبهى وأجمل؟! حسنًا؛ اتبعيني. أرايتِ تلك المرأة هناك؟ قفي أمامها وابتسمي وامعني النظر. هل رأيتِ مثل هذا الجمال من قبل؟؟؟ حتمًا لا. فجمالكِ واحد، ليس له نظير.

أحبي نفسك بكل تفاصيلك المميزة. إن أحببتِها ستجدين
من ينتظر على أحر من الجمر رؤية هذا الجمال، كما
تنتظرين بفارغ الصبر الشمس والقمر.

مبدأ

"اعتزال ما يؤذيك" مبدأ جميل، فلماذا لا نجعله شعارًا لحياتنا؟ لماذا لا نبدأ في اعتزال كل ما يسبب لنا الأذى؟ سواء كانت فكرة أو شخصًا أو حلماً أو عملاً، فلنقطع العلاقة مع كل ما يضرنا سواء نفسيًا أو جسديًا، معنويًا أو حتى ماديًا. اعتزله، وارحم نفسك وارحمها، لأنه ليس هناك ضحية سواك. لا تحزن، لقد كنت يومًا مثلك، أرهقت نفسي كثيرًا. ولكن منذ أن بدأت في اعتزال ما يؤذيني، صرت أفضل. أنت أيضًا يمكنك القيام بذلك لتصبح أفضل مني. اتخذ قرارًا بالتخلي عن كل ما يعيق تقدمك ويجعل حياتك أكثر سعادة وهدوء. افعل ذلك من أجل نفسك ومستقبلك الأفضل.

الفصل الرابع حكاياتها

ذكريات تحت المطر

ككل يوم، تستيقظ فجرًا منهكة ومتعبة. تتوضأ بتأن شديد ثم تصلي بهدوء أشد. تتناول بعض اللقيمات لكي تقوي صلبها وتعد لقيمات أخرى لتأخذها معها في حقيبتها. بعدما تأكدت من جاهزيتها للخروج، تحمل حقيبتها ثم تتوجه صوب الباب. يا إلهي، لما كل هذا الظلام؟! تنتظر بعينيها الصغيرتين يمينًا ويسارًا، لقد فهمت الصغيرة الأمر، لقد انقطعت الكهرباء بسبب أمطار الليلة الماضية وها هو نصف الحي يبدو مناسبًا لتصوير فيلم رعب، خاصةً مع عيون القطط التي صارت تلمع في تلك الظلمة. بحذر شديد، سارت الصغيرة مع والدها نحو محطة الحافلات، بقيت تنتظر قليلا حتى أحست بقطرات المطر الباردة تداعب وجنتيها الدافنتين. من بعيد، ظهرت الحافلة. وصعدت بهدوء وثبات، باحثة عن مكانها المفضل لتقف فيه. إنه هناك، مكان فارغ بالقرب من

النافذة، ويا لحظك اليوم، هناك مقعد فارغ لن تضطري للوقوف اليوم!!! وضعت رأسها على النافذة، تراقب الطريق، وبين الحين والآخر تمسح الزجاج بقفازا حتى تتضح لها معالم الطريق. لم يتبقى الكثير، فلقد وصلنا إلى باب جديد بعده سيدي ميمون ثم عرصة لبيلك. وهذه هي محطاتها الأولى. نزلت الصغيرة من الحافلة، ما زالت تمطر. وقفت مع الحشد تحت السقيفة لكي تحتمي من المطر. رائحة المطر تداعب أنفها مع رائحة أخرى تعرفها، لكن لم تتبينها بعد، بقيت تستنشق حتى سمعت صوتا يقول "قهوية، قهوية". هنا عرفت أنها رائحة القهوة بالأعشاب، يا لها من رائحة ويا له من منظر صومعة الكتبية بأضوائها الخافتة. لمحت الحافلة الثانية قادمة، تجهزت للركوب مرة أخرى، مخلفة وراءها سيمفونية نادرة تحت المطر.

جمود

كان البرد يتسلل إليها من كل جهة، رغم محاولاتها اليائسة في التأقّف بشكل جيد وارتداء كل طبقة من طبقات برد الشتاء. ولكن البرد لا زال يخترق حواجزها وينهش في عظامها. حتى الوضعية التي اتخذتها تحت البطانية، كوضع الجنين، لم تنقذها هذه المرة، ولم تُوفّر لها الدفء الذي اعتادت عليه. أحياناً، يخيل لها أن أحشائها تتراقص من شدة البرد، وتتساءل عن سبب هذا البرد القارس. بعد لحظات من التفكير العميق، أخيراً فهمت، لم يكن هذا البرد عبارة عن برد عادي ينبع من الظروف الخارجية، بل كان ينبع من داخلها. كانت شمعة الأمل التي كانت تتوهج بداخلها، قد انطفأت بفعل الدموع التي جرفتها على خديها. بدلاً من أن تبقى دافئة وحية، تحوّلت تلك الدموع إلى جليد يلتصق بوجهها ويمسك بقلبها. وهكذا، لم يعد هناك شيء يمنحها الدفء في هذه

اللحظات، سوى الجمود والبرودة التي انعكست في
روحها. لم تعد قادرة على الشعور بدفء الحياة، فكل ما
تبقى هو الانغماس في جليد اليأس الذي يكسوها تمامًا.

نجمة في أعالي السماء

جلست في إحدى الزوايا، ضامة رجلها إلى صدرها، وواضعة رأسها بين يديها، حتى شعرت بأنامل تلامسها، وبصوت هادئ عرفت صاحبه من أول كلمة قال لها: "مرحبًا!" أجابته دون أن ترفع رأسها: "مرحبًا." عاد الصوت سائلًا: "ما بك؟! لماذا تجلسين هنا؟" لم ترد ولم تنتظر إليه. رفعت رأسها إليه وسألها مجددًا بكل لطف ورقة: "هيا، حديثيني. ما بك؟" بصوت خافت أجابت: "فقط أنا... أشعر بالاختناق قليلاً." جلس بجوارها وقال: "إذن، أفرغي قلبك علي، فأنا في الاستماع إليك." ردت: "لا عليك. ستمل من كلامي كما يفعل الآخرون، وتنتعني بالجنون، لذلك من الأفضل التزام الصمت."

بادرها قائلاً: "أنا جاد في كلامي. تحدثي، ولن أنبس بكلمة حتى تنتهي." ردت: "حسنًا، سأقول لك. لا أعرف ماذا يحدث لي. أبكي بسبب ومن دون سبب. أشعر برغبة

في الحديث مع الآخرين، ولكن عندما أكون معهم ينعد لساني. ولكن كل هذا صار مألوفًا بالنسبة لي. الشيء الذي لم أستطع أن أتعايش معه هو ذلك الفراغ الذي أحس به. أحاول أشغال وقتي بالكتابة، والرسم، والقراءة، والعمل في البيت والخارج، مساعدة الآخرين في فروضهم، ومع ذلك أشعر بالفراغ، الفراغ المهول.

بدأت البكاء والصراخ بطريقة هستيرية، إلا أنه كان ينظر إليها ولم ينطق بكلمة. نظراته نحوها كانت حانية، مسحت دموعها بكفها و تابعت كلامها : "أحس أن هناك ثقبًا أسودًا بداخلي، أو تعلم ما الثقب الأسود؟ إنه ببساطة نجمة منيرة هناك." أشارت بيدها نحو السماء وأكملت وهي تضحك كالمجنونة: "هل رأيتها؟ في أعالي السماء، ثم ماتت. هل تعلم كيف ذلك؟! لقد انتفى نورها، مثلي تماما."

بدأت تبكي من جديد وأردفت: "ثم تحولت إلى ثقب أسود، يلتهم كل شيء يمر بجواره دون شبع، وأنا خائفة

من ذلك الفراغ. لا يريد أن يمتلأ، ولكن السؤال هو: هل كنت نجمة منيرة لكي أصير ثقبًا أسودًا؟ بالطبع لا، لست نجمة، ولم أكن أبدًا. أنا لست سوى... سوى."

في هذه اللحظة، قاطع صمتها قائلاً: "إن لم تكوني نجمة، فأنتِ قمر". ردت بضحكة تهكمية: "هل تمزح؟ لو سمعك القمر سيسقط فوقنا تمامًا. أنا لست قمرًا، لست جميلة لذلك الحد." اقترب منها لكي يعانقها وقال: "عزيزتي، إن لم يروك قمرًا، فأنا أراكِ قمري المنير الذي أضاء عتمة ليلي الذي لا ينتهي. ولكي تخرجي من هذا الفراغ، قوّي علاقتك بخالقك. اقرئي القرآن الكريم كل يوم، وستشعرين بالفرق. سيختفي هذا العذاب الذي تشعرين به."

فجأة، سمعت صوتًا ينادي باسمها. استيقظت ووجدت أختها بجانبها تريد كأس ماء. أعطتها ما تريد لتنام مجددًا. إذًا، كان مجرد حلم، لكنه بدا حقيقيًا. ثم قالت: "رغم ذلك، سأتابع ما قال لي بالحرف الواحد. منذ ذلك

اليوم، شعرت براحة واطمئنان. لم أشعر يوماً بمثل هذا
الإهمال من قبل، كأنني وُلدت من جديد لكي أكون نجمة
ساطعة في أعالي السماء".

نبضات العشق

كلما مرّ اسمه بقلبها زاد نبضه، وارتجفت وارتعشت
كلما أعادت رسائله. ذاب قلبها من فرط الحب كلما
استمعت إلى صوته، وأعادته مرة بعد مرة. لماذا كل
هذا؟ لأنه ببساطة سكن قلبها ونقش اسمه فيه ببراعة.
هكذا أخبرته، رغم علمها أنها أخبرته سابقاً. ولكنها
أحبت أن تخبره مرة أخرى ليهدأ قلبه وليطمئن، لأنه
سكن قلبها و به اهتدى ورفرف مثل الطيور التي تحلق
في السماء العالية. كان في سمائها، والغمام كان لها
شمساً سلام في رأسها، في ضعفها، في حزنها، في
خوفها، كان لها فرح يمحو عن روحها الظلام. لطلما
حملته في زاويةٍ ما في قلبها، ولطلما أحببته بصدقها،
ببراءتها، بقلبها المخلص في هواه. باختصار، عشقته حد
الجنون.

لابأس

في البداية كانت مجرد خدوش صغيرة رُسمت على جدران قلبها، ابتسمت و قالت: "لا بأس". بعدها زاد عمق تلك الخدوش قليلاً حتى صارت شروخاً، كتمت دموعها وقالت: "لا بأس". بدأت تلك الشروخ تزداد عمقاً أكثر فأكثر، وبدأت بعض الجدران تسقط، فأمسكت دموعها ولم تنطق بحرف، فقط يديها كانتا ترتجفان . بعدها جاءت نسمة أسقطت كل شيء، تداعت الجدران وصار قلبها مجرد كسور هنا وهناك، لم تعد تقوى على كتم الدموع، فقد احترقت بما يكفي، فتركته تنهمر، لعلها تنجح في إخماد تلك الحرائق المتأججة داخلها. أخذت دموعها وبدأت تلتصق بها شظايا قلبها المكسور، صحيح أنه اتخذ شكل قلب، لكنه مليء بالندوب والجروح، يؤلمها لأبسط الأمور، تكتم دمعاتها حتى تصل إلى وسادتها، هي الوحيدة القادرة على مسح دموعها، فلا

أهلها ولا أصحابها (إن كان لهم وجود أصلاً) يستطيعون مسحها. هكذا صارت نوبات الدموع والبكاء المكتوم تراودها فجأة من دون سبب. في كل مرة تقول "أفضل أن يكسر قلبي على أن أكسر قلباً، فهو في كل الأحوال مكسور ولن يعود إلى حاله".

بجانب النهر

في بقعة ما في هذا الكون الفسيح، تحت شجرة
الصفصاف ذات الظلال على جذع خبط عليه الأيام ما
قدر لها خطه. بجوار النهر الرقراق ذي المياه العذبة،
جلست الصبية تتأمل الكون من حولها. نسمة علية
تداعب وجنتيها، خرير المياه، وزقزقة العصافير قد
شكلت سيمفونية من المستوى الرفيع أطربت أذنيها.
وهناك في الأفق البعيد، لاحت الشمس تتربص على
استحياء خلف الغيوم التي بدورها قد توارت خلف جبال
أماسين الشاهقة. منظر بديع من صنع خالق رحيم بعباده.
غير بعيد، تراصت شقائق النعمان فاختلط لونها الأحمر
الفاقع الذي يسر الناظرين بخضرة الربيع، التي شكلت
سجادة غطت الأرض الواسعة. بقيت الصبية الصغيرة
مندهشة لرؤيتها هذه التركيبية الفريدة من نوعها. أغلقت
عينها لكي تتدمج أكثر فأكثر وتصير مع الطبيعة كياناً

واحدًا. فتحت عينيها البنيتين بهدوء، نظرت حولها بهدوء أكبر، نظرت يمينًا ويسارًا، نظرت مجددًا، لا أحد هنا، المكان خال. مدت يدها فنزعت جوربيها باستحياء، أدخلت قدميها الصغيرتين إلى مياه النهر الباردة بمرح طفولي. بدأت تحرك أقدامها ذهابًا وإيابًا. فجأة، شعرت بحركة خفيفة على يدها، بسطتها ونظرت إليها، ابتسمت وقالت: "دعسوقة!! لقد أخبروني أنك قد انقرضت وصرت نادرة الوجود. أنت هنا يا عزيزتي بأمان." حملت حذائها وبقيت تسير بمحاذاة النهر حتى وصلت إلى أكثر النقاط انخفاضًا. بدأت بالمشي بهدوء، بعيدًا عن ضوضاء المدينة وضغط الدراسة، لا صوت يسمع سوى زقزقة العصافير وخرير المياه، وصوت أختها تناديهما: "هيا بنا، لقد تأخرنا، علينا الذهاب الآن."

تذكرني هذا ...

دخلت إلى مطبخها وأعدت كوبًا من القهوة، ووضعت بعض الكعكات في طبق صغير، ثم اتجهت بكل خفة ورشاقة إلى شرفتها. جلست على الأريكة تحتسي قهوتها بهدوء، وتجولت بعينيها الهادئتين كهدهوء البحر، تتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى. فجأة هب نسيم خفيف جعل شعرها يتطاير على وجهها، ومع ذلك لم يمنعها ذلك من إكمال جلستها التأملية. بقيت جالسة وشاردة الذهن حتى رن هاتفها، معلناً عن وصول رسالة. جعلتها الرسالة تفيق من شرودها، بدأت تقرأها بهدوء، كان محتواها كالتالي: "إليك أنت ولا أحد سواك. أريد أن أكون أول المهنئين لك. كنت أعلم أنك باستطاعتك فعلها، فأنت نجمة، ولا يليق بالنجوم سوى التألق. وهكذا أنت يا نبض قلبي متألقة كعادتك. لقد تجاوزت الكثير لتصلي إلى هذه المرحلة، وأنا كنت معك لحظة بلحظة. لم أفارقك يوماً،

وكيف عسايا أفرقك وأنت أنا، وأنا أنت. لا وجود لي من دونك، ولا وجود لك من دوني. لطالما كنت واثقة بي، وأنا كنت سنده ودعمك حين تخلى عنك الجميع. كنت معك حين تعثرت، كنت معك في كل الأوقات. رأيتك في كل الحالات، رأيتك تبكين كطفلة فقدت لعبتها، رأيتك تضحكين كمن أصيب بنوع من الجنون، رأيتك جامدة متلبدة المشاعر، ومع ذلك كنت معك، وسأبقى معك إلى أن يفنى الكون. تذكري هذا. "أغلقت هاتفها، والدموع تنساب على وجنتيها. أرجعت رأسها للوراء قليلاً وتنهدت تنهيدة من أعماق الروح. وقالت هامسة: "لم أكن أعلم أن الأمر سينجح. لقد كتبت هذه الرسالة قبل سنة وبرمجتها لتصلني في هذا اليوم بالضبط. كنت أعتقد أن أحدهم سيذكرني، أو على الأقل ستسبق رسالتي لنفسني. لكن كنت ساذجة حينها. كل هذا ويقولون لي: لماذا تحبين نفسك كثيراً؟! أو ليس هذا سبباً كافياً؟ كفكفت دموعها وعادت إلى قهوتها وتأملها، والنسيم يداعب وجهها.

لمن شوقي وحنيني؟

قالت يوماً: "ياخذني الشوق والحنين إلى..."، فسألها أحدهم: "من ذا الذي ملك الفؤاد بهواه، ومن حبيب الروح الذي قادك إليه الشوق والحنين؟". أجابت بتأمل: "ليس للحبيب شوقي ولا حنيني بل أهم وأعمق". ثم سئلت: "ومن أ للأهل كل ذا الحنين، وأنت تراهم حين تصبحين وحين تمسين؟". ردت والعبرات في مقلتيها: إن حنيني وشوقي لنفسي السابقة، رغم كوني أقل علماً ومعرفةً من الآن، إلا أنني كنت أقل همًا وأكثر بهجة وسرورًا. كانت أكبر الهموم فيما مضى هي اختيارات صغيرة، مثل اختيار شكل قطعة الشوكولاتة بين السلحفاة والسمكة. كان يمكنني شراء السلحفاة اليوم والسمكة غدًا، أو حتى شراء الاثنين معًا. لكن عندما تواجه قرارًا حاسمًا، مثل اختيار مجال الدراسة بين أدبي وعلمي، عليك اتخاذ قرار بحكمة، فلا يمكن اختيار كليهما، ولا

يمكن التراجع أو التغيير بسهولة. خيار واحد يحدد مجرى حياتك، ويجب أن تتماسك في مواجهته. وهكذا، يأخذني الحنين إلى حياتي السابقة، حيث كان بإمكانني الراحة وتناول الطعام بسلام، والاستمتاع بالوضوء بالماء الدافئ، وأداء الصلاة باطمئنان. أما الآن، فأطهو الطعام بعد العشاء ويُسخن فجراً لتناوله قبل الظهر، وربما قبل العصر أتناول وجبة مكرهة بسرعة. بعد ذلك، أتوضأ بمياه باردة في عز البرد دون معرفة مصدرها، وأجهز للصلاة والتجهيز للفصل، وهكذا تستمر الحياة. وأختم بتلك الكلمات: "يا ليت الطفولة تعود يوماً لأخبرها ماذا فعل الشباب".

"كوني قوية كوني بخير"

هادئة مثل نجم السهيل السرمدي في ليلة قمرية صافية
 تراها تبتسم وتطيل الابتسامة فتضيق عيناها
 الزبرجديتين اللتان اختصر فيهما كل جمال الدنيا تضحك
 كثيرا كأن لا حزن في هذا الكون لكن خلف ضحكتها هذه
 كثير من الألم و كثير من الحزن كأن حياتها عبارة عن
 أحجية تناثرت قطعها في الأرجاء ولما أقدمت على
 ترتيبها كأنها ضيعت إحدى القطع أو أن هنالك قطعة في
 غير محلها شيء ما ناقص أو بالأحرى مفقود لا أحد يعلم
 ما هو حتى هي لا تعلم فقط تشعر به بداخلها. تراها
 صامدة أمام الصعاب رزينة وحكيمة صلبة وحازمة
 كأنها شجرة الجينكو اليابانية حتى لو اندلعت حرب
 نووية ستظل شامخة بعزة لكنها في الوقت ذاته رقيقة جدا
 وهشة كأجنحة الفراشات كأسدية الزعفران تحتاج إلى
 أنامل ناعمة وأقل شدة قد تكسرها. بين هذا وذاك تتذبذب

حياة حبيبتنا الصغيرة حرفيا ليست صغيرة في السن لكن حيويتها وعفويتها وكذا ملامحها لازالت تحمل قبسا من نور الطفولة لكن في الوقت ذاته تحمل جبالا من الشيخوخة هل هو النفاق أم أنها ذات وجهين؟ صدقني لا أحد يعلم لا أنا ولا أنت ولا هي. لكن، ما يبدو أنها تختار أين ومتى ومع من تكون سداة زعفرانة ومتى تصير جذع جينكو يابانية. فنحن صرنا في زمن إن لم تكن فيها أسدا التهمتكَ الضباع بعد قرن من التحمل تعود إلى مملكتها الصغيرة حيث يمكنها أن تنزع رداء الشدة والصرامة ترتمي على سريرها فتتكوم في وضعية الجنين أحب الوضعيات وأقربها إلى قلبها لما هذه الوضعية بالتحديد تشعرها بالأمان الذي كانت عليه في رحم أمها ذلك الأمان الذي ولى ولن يعود منذ اليوم الذي أطلقت أولى صرخاتها في هذه الدنيا كأنها تقول بأعلى صوت لها أنا هنا فماذا حضرتم لاستقبالي بينكم لا أريد شيئا سوى أن توفروا لي أمانا كالذي كنت فيه لكنها

تعرضت لصفعة جعلتها تستفيق فظلت منكمشة على
 وضعها و العبرات الدافئة تسيل على وجنتيها الباردتين
 دموع صامتة دون نحيب أو أنين مجرد سيول تجرف
 معها جلاميد الأحزان والهموم حطت على نافذة غرفتها
 حمامة زاجلة تحمل إليها رسالة ما إن قرأتها مدت يدها
 تمسح ما انهمر وترسم على وجهها تلك الابتسامة
 العريضة كان مضمون الرسالة "كوني قوية كوني
 بخير" ضحكت ويدها ترتجف وقالت أنا كذلك من قال
 العكس صدق من قال بعض الكلمات تجعلك تضيء.

هدية

خرجا معًا لأول مرة لكي يشتري لها هدية. نظر إليها بكل إعجاب وجدت أمامهما ذلك الفستان الأسود الداكن، وقال: "الأسود يليق بك ويجعلك تبدئين كالقمر ليلة البدر بجمالك الفاتن". أحنّت رأسها بكل خجل وأجابت بسذاجة: "الأسود لون جميل ولكن لا أجده مناسبًا في هذا الحر." وافقها قائلاً "نعم، معك حق." ثم قال في نفسه: "حتى أنا لا أريد أن يراكِ غيري وأنتِ ترتدينه". نظر إلى فستان آخر بلون أزرق فاتح وقال لها: "أما هذا اللون فهو يبدي زرقة عينيك اللامعتين كأن زرقة المحيط بأكملها صبت في عينيك." وقبل أن يكمل كلامه، نظر إليها والدموع على خديها. كانت تلك أول مرة يراها تبكي، حتى في حزنها لا تزال فاتنة. أخرج من يده منديلاً لمسح دموعها فسألها بحنان: "لما البكاء؟" أجابته والدموع لا تزال سارية على وجنتيها: "أكره هذا اللون

لأنه يذكرني بالمحيط الذي انتشلت منه جثة أبي، لذلك
أكره المحيط وكل ما يرمز إليه، حتى عيناى صرت
أمقتهما كلها." امسك يدها وقال لها: "آه يا عزيزتي، لو
كنت أعرف هذا لما اخترت لك هذا اللون. حسناً،
اختاري ما هو أقرب إليك، فأنا لا أريد إحراجك أكثر."
نظرت إليه وأجابته باسمة: "لنعد إلى المنزل، فلقد
وجدت ما أريد"

بعد النهاية بداية

بعد يوم طويل في الجامعة، تخرج بخطى متثاقلة، كما لو كانت أحمل جبلاً ثقيلاً على ظهرها يمنعها من الإسراع. كسير المهموم، الغارق في شتى أنواع الهموم. خطوة تليها خطوة في ذلك الممر الطويل الذي يبدو أنه لا ينتهي. تتسلل إلى أنفها رائحة أزهار اللارنج، تلك الرائحة التي تعشقها بشدة. تمشي بتثاقل أكبر حتى تستنشق أكبر قدر من هذه الرائحة الأزلية التي أسرت روحها دون سابق إنذار. هذه الرائحة التي تنتشر عبيرها في الأجواء تعلن عن قدوم أحد الضيوف الأعراء، ويظهر أن هذا الضيف لا يأتي مسالماً، بل يأتي غازياً. ومع ذلك، أنا متيمة بهذا الضيف. لا يغزو المدينة فقط بل يغزو نصف الكوكب، يغزوه بجنود لا يدعون أحداً دون أسره. ومع هذا، لا يوجد أحد يعارض، لا أحد يقاوم، سواء السيدة جازانيا أو السيد أقحوان، ناهيك عن الوردة

الجورية، زهرة كل الفصول، والكرديه الحمراء،
وزهرة الاستر، واللؤلؤة الأفريقية. جميعهم جاؤوا
ليساعدوا السيد الربيع في غزو قلوبنا ويعلمونا أن الحياة
ستزهر بعد خريفها. أن بعد النهاية هو بداية أخرى،
وهي أفضل البدايات وأجملها.

روح منكسرة

من عمق روحها المنهكة، أفرجت عن تنهيدة محملة بخيبتها وأحلامها المتكسرة، معلنةً عن نهاية يوم فارغ، لا طعم فيه ولا نكهة. مجرد يوم رتيب انعدمت فيه ألوان الحياة، وككوكب يائس خرج عن مداره في فلكه، يدور في مملكتها الصغيرة التي تعج بأفكار متلاطمة كأموج بحر هائج. كانت تدور كأنها تبحث عن قبس من النور لتضيء به سواد أيامها، التي صارت تنتثر فيها كالريش، ولكن يا ترى أين يمكنها أن تجد هذا القبس المفقود؟ لكنها لم تفقد الألم، ما زالت تدور وتدور، رغم أنها تدرك جيدًا أنها تبحث في حلقة مفرغة دون جدوى. وبعد أن أنهكتها البحث، سارت إلى فراشها بخطوات مثقلة، وقلب يعلوه أطلال وحطام، لترتمي عليه كدمعة تحمل بين ثناياها ألوان خفية من اليأس والضياع. تأبى الكلمات أن تصوغها، والأقلام أن تنتثرها، قاومت طويلاً

قبل أن تسقط بحرارة . بدأت تحمق حولها، وكأنها تتوجس من أمر ما، خائفة من شيء ما. لا أنا ولا أنت ندري ما هو، لكن دعنا نرى ماذا ستفعل يا ترى؟ تعالت تنهيدة حزينة، تتراقص على لوحة الصمت المهيب، تسكنها همسات أهات مكبوتة، تخرج من عمق الروح كشهقة تمزق جدران الصمت، وتعلو أصوات الحطام المتناثر في أروقة الذكريات، كأنها تهمس بشيء ما. دعنا نقرب منها عسانا نروي فضولنا ونعرف عما كانت تبحث. لم تكن تهمس، وإنما كانت تنهيدة أخرى، عندما يكثر الكلام ويكون القلب مليئاً بالكسور، فلا شيء أبلغ من تنهيدة للبوح بمكنونه. فلما لا نأخذ تنهيدة، لعنا نرتاح؟ تدرك أنها لا تستطيع الكلام وحدها، لكنها تمتلك قوة الصمت والحزن، فكما قال أحدهم: "وربّ تنهيدةٍ من وجد صاحبها، تكاد من هولها الأضلاع تنكسر"

لا تحزني

- ما بكِ حزينة؟

- أنا لست حزينة، أنا سعيدة. انظري إلى ابتسامتي، كيف تبدو؟

- نعم، أرى ذلك، ولكنني أعرف ابتسامتك جيداً. وعندما تكون من قلبك، لا تكون هكذا فقط. قولي لي، ما الذي يحزنك؟ لا تهتمي أبداً، نحن هنا بجانبك وسأستمع إليك حتى النهاية.

هنا انفجرت دموعها ونظرت إلى المرأة، وقالت لها والدموع على خديها:

- يا ليتني أسمع مثل هذا الكلام من شخص آخر، شخص يفهمني من تعابير وجهي، شخص يعلم متى أكون حزينة ليواسيني، يعلم متى أكون سعيدة ليسعد لسعادتي، يعيرني اهتمامه في كل اللحظات، شخص أكون معه على سجيّتي، لا أخجل من البكاء في وجوده، كلما رأني

انجرف أمسك بيدي وقال: "ما دمتِ تمسكين بهذه اليد،
لن تنجرفي مجددًا".

الفصل الخامس

عشوائيات

بوح

أشعر برغبة في التحدث، لكنني لا أعرف بالضبط ماذا أقول. ربما تخونني الكلمات، أو بالأحرى، لا أعرف من أين أبدأ. أشعر بأنني أريد أن أتحدث، ولكن لا أجد مع من أتحدث، أو على الأقل لا أعرف مع من سأختار لكي أفشي له ما في قلبي. أشعر بأنني أريد أن أتحدث، ولكنني لا أرغب في شخص يرد فقط. أرغب في شخص يصغي إلي بكل جوارحه، فقط هذا ما أرغب. أريد قول ما في قلبي دون محسنات ولا بلاغات، كلمات عفوية تعكس ما بداخلي من نقاء أو صفاء أو خوف أو قلق أو كآبة. لا يهم ما يكون، ولكن كيف أعبر عنه؟ وماذا سأقول وكيف سأقوله؟ ومتى يجب علي البدء أو حتى الصمت؟ هل ما سأقوله سيزعج من حولي؟ هل سيغضبهم؟ هل هو إساءة لهم؟ هل سيفهمون قصدي؟ الكثير من الأسئلة جعلتني أتردد في التحدث، وغيرته إلى الكتابة على الأقل. لن

أجبر أحدًا على البقاء والاستماع لما أقول، سأكتب ما
أريد، وبعد ذلك، أقوم بحرقه أو تمزيقه ورميه في مهب
الريح.

عندما أكبر

دائماً كانوا يسألوننا عندما كنا صغار: "ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر؟"، كانت الإجابات الشائعة تشمل "أستاذ، مهندس، طبيب، محامي..."، وكنت أنا أيضاً أجيب مثلهم، لكي لا أبدو غريبة عن الآخرين. ولكن، حلمي الوحيد عندما كنت صغيرة، والذي بقي يسكنني حتى اليوم، كان بسيطاً وعميقاً في نفس الوقت.

عندما أكبر، أريد أن أكون بخير. هذه الرغبة البسيطة كانت تعكس تفكيري العميق في أهمية السعادة والرفاهية الشخصية. فالحياة، من وجهة نظري، تتحقق بالسعادة والسلام الداخلي، وليس فقط بالنجاح المهني أو التحصيل العلمي. لم يكن حلمي يتعلق بمهنة محددة، بل كان يتعلق بالحالة الروحية والعاطفية. أردت أن أكون قادرة على التغلب على التحديات بابتسامة، وأن يكون قلبي دائماً مليء بالحب والسعادة. وهكذا، أصبحت رؤيتي للنجاح

تتمحور حول تحقيق توازن داخلي والاستمتاع بكل
لحظة في حياتي.

الديار

يطول النهار بلحظاته الحلوة والمرّة في الخارج، ولكن لا شيء أفضل من أن أعود إلى الملجأ الذي يحتضنني في كل حالاتي. كل شيء في جسدي يشعر برغبة في العودة للديار. فما أجمل تلك اللحظة حين أقوم بخلع ذلك الحذاء ذو الكعب العالي وأرتدي ذلك الصندل البلاستيكي رخيص الثمن ذو الصوت المزعج، ولكن رغم ذلك، أشعر بالراحة عند ارتدائه، وأرمي تلك السترة وبسرعة أرتدي ذلك الفستان الفضفاض الذي صرت مشهورة به في الحي. كل من يصادفني يقول لي: "لم أعرفك إلا بهذا الفستان". ولا تكتمل الراحة إلا على الأريكة أمام شاشة التلفاز، حيث أجلس تلك الجلسة العجيبة لتوبّخني أمي. أنتفض من مكاني وأعتدل في جلستي، ما أن أحسّ أنها ابتعدت حتى أعود إلى تلك الوضعية الغريبة والعجيبة. حياة رغم بساطتها فهي في عيني فاخرة. أشياء رغم

صغر حجمها وقلة قيمتها المادية، تظل في نظري أعلى
قيمة من كل ثروات الدنيا بأكملها. فما أعظم إحساس
الراحة والانتماء. ولا تكتمل الصورة إلا على أنغام
كلمات أمي كل يوم: "أهلاً بعودتك حبيبتي".

قلب منقطر

ويستمر قلبي في الانفطار يوماً بعد يوم من شدة الفراق. كل من اعتبرته سنداً لي وكان جزءاً من حياتي يختفي ويتلاشى مع مرور الزمن دون أي سابق إنذار. أحاول في البداية إظهار تلك الابتسامة البهية كما لو أن شيئاً لم يحدث، ولكن هذا لا يستمر طويلاً. حيث أشعر بالضيق والاختناق، فيبدأ قلبي في تفريغ ألمه على شكل قطرات ندى تستقر على خدي دون علم أحد. ولكن، مؤخراً، لم أعد كذلك. حاولت، بقدر الإمكان، عدم الغوص في علاقاتي، فأجعل كل من التقيت بهم مجرد محطات عابرة في رحلة عمري. إلا أن الألم لم ينته هنا، بل كان أصعب من ذي قبل. ألم الفراق أحياناً يكون أرحم لقلبي من المحاولة الجادة في الابتعاد عن أشخاص يحبونك بصدق. ففي نهاية المطاف، سيعود اللقاء ثانية، بصدفة أغرب من الصدفة التي التقينا بها أول مرة. والآن،

أحاول بكل ما أوتيت من قوة جمع أحبتي من جديد. ولكن
هل سأظل في ذاكرتهم، أم أن ذكراي صارت في مهب
الريح؟

أوقات

في حياتنا نمر بأوقات عصيبة نتمنى فيها لو أننا لم نعيشها، نتمنى فيها لو تمضي بسرعة، نتمنى إننا لم نولد ذلك الحين أو أننا متنا قبل أن تمر علينا. وفي المقابل، هناك لحظات نتمنى لو أن الزمن يتوقف عندها، فنعلق في تلك اللحظة حيث كنا نمتلك أعلى كنز وهو السعادة. سعادة عفوية تلقائية، نتمنى لو أن الزمن يطول لكي نستمتع بكل ثانية من هذه اللحظات التي لن تتكرر. نحمد الله أننا وُلدنا لنعيش هذه اللحظة، فليس هناك أجمل من لقاء دون سابق موعد في نهاية يوم شاق. نتمنى لو أنك تملك جناحين لتطير مسرعًا إلى سريرك، أو أن المسافة إلى بيتك تصبح قصيرة فجأة. في ظل هذه التمنيات، تسمعين صوتًا رقيقًا قريبًا إلى قلبك ينادي باسمك. تلتفت لترى أكثر شخص تحتاج إليه في تلك اللحظة بابتسامته المعديّة. ما أن تراه حتى ترتسم الابتسامة على وجهك

التعيس، فيصير لديك أسعد مخلوق حينها. المسافة التي
كنت تتمنى لو قصرت، صرت الآن تتمنى لو أنها لم
تنتهي.

لامبالاة

أحياناً أشعر بأنني وصلت إلى درجة كبيرة من اللامبالاة وعدم التدخل في معظم الأمور، حتى وإن كانت تخصني. فأنا لم أعد أكثر لقد فقدت التفكير في الماضي والمستقبل، لم أعد أخطط وأستبق الأحداث، بل صرت أسيراً مع التيار فحسب. كل ما خططت له لحد الآن لم أحققه. جميع الطرق التي سهرت في هندستها وترميمها من أجل الماضي فيها لم تطأها قدمي قط. لا أدري لماذا بنيتها وخسرت جهدي بها، لأسلك طرقاً أخرى مليئة بالحجارة والشوك، لدرجة أنني انصهرت حتى صرت سائلاً يتخذ شكل الإناء الذي يوضع فيه. هذا ما فعلته بي الأيام.

تعارف

في أيامنا هذه، صار التعرف على الأشخاص سهلاً، ولكن الحفاظ على من نعرف لأمر صعب للغاية. كثيرون ممن عرفناهم وفرقتنا عنهم الحياة. هناك من سافر بعيداً من أجل مستقبله، وهناك من رحل بحثاً عن نفسه، وهناك الكثير... إلا أن هناك وجوهاً رغم البعد في الزمان والمكان يصعب علينا نسيانها. حتى لو أردنا ذلك. كل شيء في هذا الكون يربطنا بهم. أسماؤهم تظل تذكرنا بهم. حين تظنين أنك نسيت شخصاً ما، حتى يظهر في حياتك فجأة شخص آخر يحمل نفس الاسم، فيبدأ بالبحث عن ملامح وصفات تعرفها، ظناً منك أن نفس الاسم يعني بالضرورة نفس الصفات. حتى كلماتهم تتبعنا أينما كنا، نسمع كلمة ونتخيلها بصوت من نعرف. وهكذا، أشياء كثيرة تربطنا بمن نحب، ونفتقد إليهم حتى لا يمحي من الذاكرة، كأن شيئاً خفياً يقول لك: "لا تنسه،

أرجوك. " سأفعل المستحيل من أجل أن تستمر هذه
الذكرى.

هل نتعارف؟

دائمًا عندما يُطرح عليّ سؤال مثل "ممکن نتعرف أكثر؟" أو "ممکن تحكي لي عن نفسك قليلاً"، أشعر بالارتباك وأعتذر. غالبًا ما أُجيب بأنه أفضل أن تبقى معرفتنا على مستوى سطحي، فأنا لا أحب التعمق في العلاقات. ينتهي الحوار عادةً بعد اعتذاري، ولكن في داخلي تتكون الكثير من الأفكار المتضاربة. هل كنت صحيحًا في تصرفي؟ ماذا كان يجب عليّ قوله منذ البداية؟ هل أنا شخص جيد أم سيء؟ وتستمر الأسئلة. لا أحد سألني عن السبب أو سألني لماذا قلت ما قلت. حسنًا، سأخبرك لكي لا تظن بأنني شخص سيء. عندما رفضت، لم يكن ذلك لتكبر مني أو استحقارًا لك - حاشا لله، لم أتربى بهذه الطريقة. ولكن لدي مبدأ واحد أردت الحفاظ عليه. أنا شديدة التعلق بالأشخاص، خاصة أولئك الذين يعاملونك بلطف وحنان ويشعرونك بالاطمئنان. لذلك، لا

أريد أن يكسر قلبي برحيلهم، تمامًا كما رحلت صديقتي
 جراء حادث سير. ولا أريد أن أكسر قلبك برحيلي، كما
 فعلت مع شخص كان يكن لي مشاعر طيبة. فقد اعتذرت
 منه، لأنني لا أشعر بنفس الشعور. أن أظل غريبة أمر
 أسهل بالنسبة لي من كسر قلب أحدنا. السلام لقلوبكم
 أينما كنتم.

طيف

أيام قليلة وتنتهي عطلتي الصغيرة، لتبدأ بعدها ستة أشهر من الجد والكفاح وركوب الحافلة صباحاً والعودة إلى المنزل متأخرة. عطلتي التي انتظرتها بفارغ الصبر، لكنني لم أقضها كما أردت وكما كنت قد خططت. قضيتها على سطح المنزل، آخذة كرسياً وجالساً في الزاوية تحت أشعة الشمس الدافئة بجانب النافذة، أتأمل قليلاً في وجوه العابسة التي تسعى لكسب رزقها. تتصاعد الروائح المريحة إلى أنفي من النعناع والريحان، فأتذكر أنه دوري لسقيها. أذهب مهرولةً وأملأ الدلو، ثم أرويها وأعود إلى كرسيي المريح. أنظر إلى السماء الصافية دون غيوم، وأسراب الحمام التي تطير فوق رأسي. أتمنى لو أنني حمامة، أطيّر من قطر إلى قطر دون أن توقفي الحدود ولا الحواجز. أنظر وأتأمل في خلق الله سبحانه، فجأة أسمع صوتاً، أنظر

فأجد متطفلاً ينظر إلي. إنه قط، أنظر إليه كالبلهاء، يموء
 مواءً خافتاً يكمل طريقه، ثم بحركة رشيقة يقفز من
 سطحنا إلى سطح الجيران. بعد ذلك، أعيد نظري إلى
 السماء، في ذلك الجمال الرباني الذي يرسم الابتسامة
 على وجهي. أياً كان مزاجي، النظر إلى زرقة السماء
 يعيد الحياة لروحي. وسط هذا التأمل، بدأت ألمح طيفاً في
 الأفق، طيفاً لا أخطئه أبداً. خيل إلي أنه يبتسم ويقول
 شيئاً. أشحت ببصري بعيداً، وابتسمت كالبلهاء. أخذت
 الكرسي، معلنة انتهاء حصتي التأملية الهادئة.

تعب

لقد تعبت نفسيًا وجسديًا وفكريًا، تعب من كل الجوانب، تعب لم أعد أستطيع التخلص منه. لقد صرت أشعر بالاختناق، صرت أشعر برغبة في البكاء ولكنني لا أستطيع ذرف الدموع. أنا آسفة أن شعرت بالضيق مما أكتب، فلا سبيل للتخلص من هذا الألم سوى الكتابة. ولكن كما قلت من قبل، أنا متعبة لدرجة أنني لم أعد أقوى على الخروج من المنزل وشراء الأوراق لكتابة الآمي بصمت، ثم حرقها بعد ذلك. أصبحت أشعر أن أيامي بلا طعام. تخيل معي، عندما تأكل حلوى بدون سكر. نعم، اسمها حلوى، ولكن طعمها ليس حلواً البتة. هكذا صارت حياتي. أستيقظ في الصباح، أنظر إلى الساعة، وأقول في نفسي: "لماذا سأستيقظ على أية حال؟ ليس دوري في الأشغال المنزلية. فما الفائدة من استيقاظي؟" فأعود للنوم من جديد. لم تعد لي رغبة في

فعل أي شيء. أظن أنني الآن لم أعد سوى ميتة في جسد
حي. هذا ما صرت عليه الآن.

التقيت نفسي

في إحدى المرات، قرأت منشورًا على إحدى الصفحات:
 "ماذا ستفعل لو التقيت بنفسك يومًا ما؟" فبدأت أفكر
 يومها في هذا الأمر. حقًا، ماذا سأفعل لو التقيت نفسي
 في الشارع؟ حتمًا كنت سأختبئ خجلاً من مواجهتها،
 لأنها كانت ستصفعني صفة قوية على خدي، ثم ستبدأ
 بمعاتبتي قائلة: "تبا لك! لقد حملتني أكثر مما أطيق كل
 هذه السنين. لقد قيدتني داخلك، لم تسمح لي يومًا
 بالخروج ولا حتى الظهور. يومًا بعد يوم، أغلي من
 الغضب. اعرفي أنه يجب عليك أن تعني شيئًا أكثر،
 انفجارًا، حتى يفهم الجميع أنك لستِ عبثًا!" أتخيل هذا
 الحديث وأشعر بالتوتر، لكني لا أستطيع إيقاف تفكيري.
 وما إن تبدأ بالانكفاء لترحم نفسها، حتى ترى دموعاً
 تتساقط من عينيها، وتكمل حديثها: "وهذا ما يعجبني
 فيك. رغم كل الأذى والسخرية، تتكتمين عن الأمر،

تبكين على وسادتك، ثم تكملين حياتك بخطى ثابتة. هذا ما تخيلت أن تقوله لي نفسي عندما ألتقيها". وأنا بدوري، سأقول لها: "سامحيني إذا أتعبتك معي وحملتك فوق طاقتك، ولكن أنتِ الوحيدة التي أجدها بجانبني بعد رحيل الأحباب".

فمن سواها يكون؟

كانت دائماً تقول لي: "لا تخافي، تشجعي، تستطيعين!"،
بينما كانت يديها ترتجف خوفاً عليّ. كانت تحاول دعمي
ورغم ذلك كانت تعيش في توتر وخوف على سلامتي.
وكانت تكمل قائلة: "ابتسمي ولا تبكي مجدداً"، بينما
كانت عيونها تمتلئ بالدموع، فكأنها تطبق النصيحة التي
تقدمها لي. كانت دائماً تتصحني بعدم النظر للوراء،
حيث أن الماضي قد ذهب ولن يعود. ومع ذلك، كانت
تظل نفسها تنظر دائماً للوراء، وذلك ربما لتجنب
مفاجآت الحياة وحتى لا أكون ضحية لمكائد الآخرين.
كانت ترغب نفسها على تجاوز الأمور، في حين تنسى
بعض مواقفها ومشاعرها الخاصة. وفي النهاية، كانت
دائماً تواسيني وتقدم لي الدعم الذي أحتاجه. ومع ذلك،
غالباً ما ننسى أو نتجاهل المعاناة الخاصة بأولئك الذين
يقفون إلى جانبنا. إنها أمي الحبيبة، الشخص الذي

يضحي بكل شيء من أجلي وفي نفس الوقت يتجاهل
احتياجاتها الخاصة.

اعتذار

هبّت رياح عاتية عصفت، كسرت، ودمرت بعنف كل الشجيرات والأحراش المحيطة بالحديقة، حتى تلك الأشجار العالية التي لطالما رأيتها واقفة بعزة وشموخ، تلك التي ظننت أنها لن تسقط أمامها يوماً. لم تسلم تلك الأشجار العالية من هجوم الرياح العاتية، ولم تجد مهرباً، ولا حتى فرصة لتقاوم هذه العاصفة. ظلت الرياح تدور وتدور، تعصف وتذلل الشجيرات في هذا المحيط. رويداً صارت تلك الرياح الغاضبة نسيماً هادئاً عليلاً، بدأ يلف ويدور في الحديقة من جديد، سائلاً الأغصان الغفران. ولكن ما فائدة الاعتذار الآن؟ ما قيمته بعد فوات الأوان؟ حين كانت الأشجار تقاوم بكل ما تملك من قوة وتتوسل جنابكم الكريم، لم تعطفي ولم تشفقي، بل أصررت على إكمال ما بدأت. فما فائدة اعتذارك إذا كانت الأغصان ستظل مكسورة؟ هذه لم تكن مجرد قصة

عن عاصفة وشجيرات، بل هي قصة عن كل ظالم كسر
قلب أحدهم، واعتذر بعد فوات الأوان. فما فائدة هذا
الاعتذار إذا كان الكسر قد حدث ولن يعود لسابق عهده

متى يحين اللقاء؟

متى سنلتقي؟

كما قال محمود درويش، وماذا قال؟

"بعد عام وحرب."

ومتى تنتهي الحرب؟

"عندما نلتقي."

ومتى سنلتقي إذن؟

"ربما في الساعة الخامسة والعشرين من اليوم الثاني

والثلاثين من الشهر الثالث عشر من السنة."

إذن، لن نلتقي أبدًا؟

"بلى، سنلتقي."

ولكن متى؟

"سنلتقي عندما يشاء القدر."

قوقعة

لطالما اعتقدت أنني تخلصت من تلك القوقعة التي تحيط بي، لكنني مخطئة تماماً. كأنها لا تريد تركي، أو بالأحرى أنا التي لا أشعر بالأمان من دونها. مشكلتي الأولى والأخيرة هي عدم قدرتي على خلق حوار متكامل مع الآخر. دائماً ما أظل صامتة، وأبتسم من حين إلى آخر. أحاول أن أكون أكثر اجتماعية، لكنني لم أستطع. لا أستطيع المبادرة بالحديث، حتى أن هناك أشخاصاً لا يعرفون صوتي. نعم، قد قيل لي من قبل: "أمضيت عامين معنا، ويمكنني التعرف على أي صوت باستثناء صوتك. لا أعرفه أبداً." وهو محق في كلامه. لا أبادر بالحديث، ولا أتحدث كثيراً. دائماً أجلس في زاوية بعيدة عن الآخرين، غارقة في قراءة رواية ما أو ربما مقال في موضوع شيق. أتصفح طول النهار دون جدوى. لم أعد أعلق إلا نادراً جداً. لم أعد أحب الظهور كثيراً. لم

أعد أريد المزيد من الأشخاص في حياتي. ليس تكبراً،
 لكنني أضيعهم بسخاقتي. طالما أحببت كوني وحيدة. كل
 ما يفعله البعض هو تخريب وحدتك، وبعدها يغادرون
 بعدما جعلوك تتعلق بهم. لكن لا بأس، لدي مناعة ضد
 هذا الأمر. قد يغيب عني المرء شهراً، شهرين، وربما
 سنين. فلا يغير الأمر شيئاً. عودته مرحب بها في أي
 وقت. بعد يوم صرت أشعر أن تلك القوقعة تسحبني إليها
 أكثر وأكثر. صرت خائفة جداً من أن أخنفي فجأة دون
 علم أحد.

الخاتمة

عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، بما أنكما وصلتما إلى هذه الصفحة، يؤسفني أن أخبركما أنكما قد انتهيتما من قراءة هذه الهمسات. ولكن هذا لا يعني أن الهمسات قد انتهت إلى الأبد. فما دام القلب ينبض، لن تتوقف الهمسات بإذن الله. أسأل الله أن تكون كلماتي خفيفة وأنها أضفت بعض السرور إلى قلوبكما. والآن حان دوركما للاستماع إلى همسات قلبكما. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم الحمد لله بتاريخ 03 يناير 2024

همسات قلبي



تعالى تنهيدة حزينة، تتراقص
على لوحة الصمت المهيب،
تسكنها همسات آهات مكبوتة،
تخرج من عمق الروح كشهقة
تمزق جدران الصمت، وتعلو
أصوات الحطام المتناثر في
أروقة الذكريات، كأنها تهمس
بشيء ما ...



خولة اعبيد